مادة المدارس التاريخية

مدرسة فر انكفورت:

الخلفية التاريخية لمدرسة فر انكفورت:

ماكس هوركهايمر

يعتبر "معهد فرانكفورت للبحث الاجتماعي " نقطة انطلاق لمدرسة فرانكفورت، تأسس في سنة 1922م وافتتح رسميا في جوان 1924م وقد كان معهدا فريدا من نوعه اسسه عدد من الباحثين: فيليكس غايل وفريديريك بولوك غير ان اهمهم على الاطلاق هو ماكس هوركهايمر (1895-1973)، الذي صار مديرا للمعهد في سنة 1930م ،وقد كانت الغاية منذ البداية البحث في مجال المجتمع وتحولاته "معرفة وفهم الحياة الاجتماعية في مجملها".[1]

وقد أحاط هوركهايمر نفسه بعدد من الباحثين الذين صاروا مع مرور الوقت ايقونات المعهد ونجومه الحقيقيين من أمثال ماركيوز، ادورنو،فروم. وتعتبر فترة الثلاثينيات مرحلة التأسيس والخصب المعرفي الحقيقي قبل ان يتفرق الشمل في بداية الحرب العالمية الثانية، من خلال انتاج معرفي غزير واعمال اصيلة وضعت أسس "نظرية نقدية للمجتمع".[2]

---

1 –فيل سليتر ،تر: خليل كلفت، **مدرسة فرانكفورت** ،المجلس الأعلى للثقافة ،القاهرة ، ط2، 2004، ص13.

2 – نفسه ، ص15.

كان اول عمل يتم نشـــره في عهد هوركهايمر هو كتاب فرانتز (1900-1957) "الانتقال من النظرية الاقطاعية الى النظرية البرجوازية الى العالم" ، ثم جاء كتاب "دراسات في الاسرة والسلطة" غير ان اهم وسـيلة اعتمد عليها المعهد لنشـر أفكاره هو انشـاء "مجلة البحث الاجتماعي"، وفيها تم توسيع مجالات البحث .

لقد صرح هوركهايمر في المجلد الأول: "انه اذا كان التاريخ ينقسم وفقا للأشكال المختلفة التي يتم بها تحقيق عملية-حياة المجتمع البشـري، فان المقولات التاريخية الأسـاسـية-بالتالي-ليسـت نفسية بل اقتصادية".[3]

ومن القضايا الهامة التي تمت معالجتها الوضع السياسي والاقتصادي لألمانيا في ظل تصاعد النزعات القومية المتطرفة والهتلرية. وقد أشـــار ماركيوز في كتابه "العقل والثورة" المنشـــور في 1941م انه :"من الممكن رد جذور الفاشية الى التناقضات التناحرية بين الاحتكار الصناعي المتنامي والنظام الديمقراطي ،في اوربا بعد الحرب العالمية الأولى، واجه الجهاز الصـــناعي بالغ الترشـــيد والمتوسع بسرعة صعوبات متزايدة تتعلق بالاستثمار المربح، ولا سيما بسبب تمزق السوق العالمية وبسبب الشبكة الواسعة من التشريع الاجتماعي الذي دافعت عنه الحركة العمالية بحماس متقد ...ولم يكن بمســتطاع النظام الســياســي الصــاعد ان يطور القوى المنتجة دون القيام بضــغط متواصــل على اشــباع حاجات الانســان، ويقتضــي ذلك هيمنة شــمولية على كافو العلاقات

3 –نفسه، ص 42.

الاجتماعية والفردية وإلغاء الحريات الاجتماعية والفردية والحاق الجماهير بهذا النظام عن طريق وسائل الإرهاب".[4]

2.7.2. النظرية النقدية:

فسر ماركيوز النظرية النقدية على انها "نظرية المجتمع" ويوضح هوركهايمر في احدى مقالاته النظرية النقدية بالقول "تنظر النظرية النقدية للمجتمع الى البشر بصفتهم منتجي حصيلتهم الثقافية وبالتالي منتجاتهم التصورية: تعد محاولة اقامة علاقة منطقية بين مادة الحقائق التي لا يمكن اختزالها فيما يظهر...والانتاج الانساني نقطة تتفق النظرية النقدية للمجتمع بشأنها مع المثالية الالمانية."[5]

والحق ان هذا الاتجاه كان ثوريا في مجال النقد، وذهب أصحابه بعيدا في تشريح الواقع بكل جرأة وصرامة. والظاهر ان سبب تلك الجرأة تكمن في مخلفات الحرب العالمية الأولى الكارثية على الانسان والمجتمع والبيئة والاثار الاقتصادية والاجتماعية الوخيمة كما اشرنا في خلفيات تاسيسها. يضاف لها بل وفي مقدمتها نجاح الثورة الشيوعية في روسيا عام 1917 وكذلك قيام جمهورية ڤايمار عام 1919 في ألمانيا ،وما تبعها من صراعات وانقسامات سياسية في صفوف اليسار الأوروبي التي خلقت موقفاً ثالثاً كان أساساً لتشكيل فكر نقدي جديد يدور حول العلاقة بين النظرية وممارستها في الواقع الاجتماعي وكذلك تطوير معيار جديد يطعم الممارسة بإدراك

4 –مدرسة فرانكفورت، المرجع نفسه، ص43.

5 –نفسه ، ص 57.

نظري لكن من منطلق نقدي يوحد جدلياً النظرية بالممارسة، بحيث يصبح النقد هدفاً لكل فعالية ثورية. كما ان فشل الحركات العمالية في أوروبا وتحولها عن أهدافها الطبقية كان عاملاً آخر قاد الى نمو وتصاعد الحركات القومية المتطرفة ومنها النازية.

إن هذه العوامل وغيرها كونت اشكالية قامت على المسرح السياسي والفكري وشكلت «لعبة مأساوية» على حد تعبير هوركهايمر، دفعت بدورها الى تجمع «اليسار الجديد» في أوروبا، مثل اجدادهم «الهيگليين الشباب»، لمعالجة القضايا العميقة التي واجهتهم، وعقد ندوة «احياء الماركسية» التي شارك فيها كبار الفلاسفة والمفكرين، كان من بينهم لوكاش وڤيتفوگل وغيرهما وترافقت مع صدور كتاب لوكاش» التاريخ والوعي الطبقي«، الذي أثار سجالاً واسعاً وشديداً بسبب نقده للديالكتيك المادي لفردريك إنگلز، تلك السجالات الفكرية التي أثرت على تطور النظرية النقدية ودفعت في الأخير الى تأسيس معهد للبحث الاجتماعي بفرانكفورت الذي هدف الى مواصلة البحث والنقاش والدعوة الى تأسيس نظرية نقدية من الممكن ان تقف أمام النظريات الاجتماعية التقليدية التي لا تزال تسيطر على الفكر الاجتماعي والفلسفي في الجامعات الالمانية. وفي الحقيقة، فإن الأثر المباشر الذي احدثته النظرية النقدية آنذاك هو انشقاق في صفوف اليسار الأوروبي المثقف، وبخاصة في مواقفهم من الماركسية التقليدية.

قدمت مدرسة فرانكفورت نظرية نقدية تناولت مختلف نماذج الوعي النظري والعملي وبالأخص للإيديولوجية الكونية (الشمولية). وقد جمعت في آرائها بين الهيغلية والماركسية ومدارس علم الاجتماع والنفس بالشكل الذي جرى توظيفه في نقد نمطية الوعي والعقائد الجامدة. من هنا انتقادها للماركسية "الرسمية" التي جرى تحويلها الى نصوص مقدسة. من هنا محاولتها تجديدها لتلائم متطلبات العصر وتجاوز الماركسية الكلاسيكية..

ماكس هوركهايمر الذي تمرد في شبابه على كل انواع الظلم تولى عمادة معهد الأبحاث الاجتماعية عام 1930 وكانت دراسته في علم النفس. ووصل الى منصب استاذ علم النفس الاجتماعي بجامعة فرانكفورت بعد ان طور أسس النظرية النقدية في مجموعة دراسات بعنوان (النظرية التقليدية والنظرية النقدية). فنراه يجدد البعد المادي للنزعة النقدية. حيث ينطلق من ان حياة المجتمع هي نتاج العمل. وحتى اذا كان تقسيم العمل في العالم الرأسمالي يجري بشكل سيء فذلك لا يسمح لنا أن نعتبر.

إن هذه القطاعات الخاصة للعلاقة الديناميكية التي يقيمها المجتمع مع الطبيعة وللمجهود الذي يبذله المجتمع من اجل الاستمرار كما هو. فلا بنية الانتاج الصناعي والزراعي ولا انقسام الوظائف الى قيادية واخرى تنفيذية امران ثابتان مؤسسان في الطبيعة.

كما انتقدت مدرسة فرانكفورت (التنوير). ففي كتاب (خسوف العقل) يذكر هوركهايمر، انه اذا كان المقصود بالتنوير والتقدم الفكري هو تحرير الانسان من الايمان الباطل بالقوى الشريرة وبالشياطين وبالحوريات والمصير الاعمى، أي اذا كان المقصود هو تحرير الانسان من

الخوف، فعندئذ تصبح ادانة ما يسمى بالعقل اكبر خدمة تؤدي للانسان. لهذا نراه يعتبر التنوير فكرا برجوازيا.

بينما كان بنيامين شديد الاهتمام بالمادية الجدلية. وكان شديد التأثر والاعجاب ببرخت المؤلف المسرحي الالماني حيث صحبه عدة شهور بالدنمارك. فقد ترك بنيامبن اثرا واضحا في مدرسة فرانكفورت وبالاخص عبر فكرته القائلة، بأن معمار ووحدة وقوة اعمال بروست على الاقتاع لا تأتي اليه عبر الجهد والتصوف والزهد وانما هناك حركة تقوده غير ملفته للنظر وتكاد ان تكون غير ارادية.

في حين يعتبر يورغن هابرمس[6] الوريث الشرعي لمدرسة فرانكفورت بعد ان طور نظريته الخاصة حول العقلانية التقنية، التي وضعها في كتابه (التقنية والعلم كأيديولوجيا) .

3.7.2. اتجاهات مختلفة:

تمثلت مدرسة فرانكفورت باتجاهات فلسفية واجتماعية مختلفة يمكننا ايجازها بما يلي:

أ. اتجاه هوركهايمر وأدورنو الذي تمثل بالمنهج النقدي الجدلي الذي يهدف الى توحيد النظرية بالممارسة العملية وتقديم نظرية نقدية للمجتمع تستطيع الوقوف امام فكرة التسلط، العنف وتسعى الى جعل الفكر النقدي ليبراليا وغير ليبرالي في الوقت ذاته، وأن لا تخجل من الصراع

6 – يورغن هابرماس (ولد عام 1929) فيلسوف وعالم اجتماع ألماني معاصر يعتبر من أهم علماء الاجتماع والسياسة في عالمنا المعاصر. ولد في دوسلدورف، ألمانيا وما زال يعيش بألمانيا. يعد من أهم منظري مدرسة فرانكفورت النقدية له ازيد من خمسين مؤلفا يتحدث عن مواضيع عديدة في الفلسفة وعلم الاجتماع وهو صاحب نظرية الفعل التواصلي.

الاجتماعي الواقعي وأن لا تبخل عن أية مهادنة، مع أية سلطة، ما دامت تهدف الى الاستقلالية وإلى تحقيق سلطة الانسان على حياته الذاتية، مثلما هي على الطبيعة.

ب. اتجاه هربرت ماركوزه (1898. 1984)، الذي تمثل في رفض المجتمع القمعي القائم والثورة عليه من خلال تأكيده على الدور الحاسم والثوري للعقل في حياة الانسان وعدم النظر الى المجتمع من رؤية ذات بعد واحد.

ج ــ الاتجاه النفسي ــ التحليلي الذي يتمثل بآراء إريك فروم والفرويديين الجدد، وهو اتجاه يقوم على مقدمات ماركسية في التحليل النفسي.

يورغن هابرماس

د ـــ اتجاه يورغن هابرماس (1929) وهو اتجاه فلسفي انثروبولوجي يؤكد على دراسة الرأسمالية المتأخرة كمجتمع صناعي عقلاني ذي آيديولوجية تكنوقراطية، كما صاغها في نظريته في السلوك الاتصالي. مما مر ذكره أعلاه يلاحظ المرء أن النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت اتخذت في مسارها الطويل اتجاهات مختلفة، بسبب الخلفيات الاجتماعية لروادها من جهة واهتماماتهم المختلفة التي ارتبطت بأفكار عصر التنوير، من مثالية كانت وهيغل الى تأويلية ماكس ڤبر وفينومينولوجية هوسرل .ومع ذلك فإن هناك ما يجمع بين روادها، مع اختلاف اتجاهاتهم، وهو نقدهم للمجتمع الصناعي الشمولي وما يفرزه من تناقضات، وبخاصة في ثقافة البرجوازية.

يورغن هابرماس)و 18 .يوليو(1929 ، هو فيلسوف الماني من أهم علماء الاجتماع والسياسة في عالمنا المعاصر. ولد في دوسلدورف، ألمانيا ومازال يعيش بألمانيا. يعد من أهم منظري مدرسة فرانكفورت النقدية له أكثر من خمسين مؤلفا يتحدث عن مواضيع عديدة في الفلسفة وعلم الاجتماع وهو صاحب نظرية الفعل التواصلي.

وصل يورغن هابرماس إلى درجة من الشهرة والتأثير العالمي لم ينجح الرعيل الأول من ممثلي النظرية النقدية الاجتماعية والمعروفة في حقل الفلسفة المعاصرة بمدرسة فرانكفورت في الوصول إليها. فعلى الرغم من الثقل العلمي لأفكار الجيل الأول (هوركهيمر، أدورنو، ماركوزه، إريك فروم...)، إلا أن هابرماس هو الفيلسوف الوحيد الذي فرض نفسه على المشهد السياسي والثقافي في ألمانيا كـ"فيلسوف الجمهورية الألمانية الجديدة" وفقاً لتعبير وزير الخارجية الألماني يوشكا فيشر، وذلك منذ أكثر من خمسين عاماً.

إنه بالفعل يعتبر الوريث الرئيسي المعاصر لتركة مدرسة فرانكفورت كما يعبر عن ذلك ايان كريب، وعلى الرغم من أن هناك أفكار مشتركة واضحة بينه وبين أسلافه، فإنه نحا بهذه المدرسة منحى مختلفاً. واذا كان ما يجمع أعمال أدورنو وهوركهايمر وما ركوزه الاهتمام الشديد بحرية الإنسان مهما بعدت إمكانية وجود تلك الحرية عن أرض الواقع، فإن هابرماس أقل حماسا في هذا الجانب رغم وجوده. إنه يتحرر من التذبذب بين التفاؤل والتشاؤم ويركز جل تفكيره بدلاً من ذلك على تحليل الفعل والبنى الاجتماعية، ولا جدال في انتماء هابرماس إلى اليسار، إلا أنه، وربما بشكل

غير متوقع ينتقد التقاليد الفكرية التي تنتمي إليها، الأمر الذي اتنهى به إلى النأي بنفسه عن الحركة الطلابية التي ظهرت في الستينات.

يمكن النظر إليه، أولا، باعتباره متماسكا بتصور يزاوج بين البنية والفعل في نظرية كلية واحدة. وثانيا، بوصفه مدافعاً عن مشروع الحداثة، بالأخص عن فكرتي العقل والاخلاق الكليين. أما حجته في ذلك فهي أن مشروع الحداثة لم يفشل بل بالأحرى لم يتجسد ابداً ، ولذا، فالحداثة لم تنته بعد. ويظهر أن هذا الموقف يضعه في اتجاه معارض تماماً مع أسلافه بالنظر إلى موقفهم من نقد عقل التنوير، إلا أن موقفه يتضمن الإصرار على جدل التنوير، أي أن عملية التنوير لها جانبان: يتضمن أحدهما فكر البناء الهرمي والاستبعاد، في حين يحمل الجانب الآخر إمكانية إقامة مجتمع حر يسعد به الجميع على الأقل. إن نظرية ما بعد الحداثة تفتقد حسب هابرماس إلى هذا العنصر الأخير.

أما المصالح المعرفية فتعني عند هابرماس أننا دائما نطور المعرفة لغرض معين، وتحقيق ذلك الغرض هو أساس مصلحتنا في تلك المعرفة، والمصالح التي يناقشها هابرماس هي مصالح مشتركة بين الناس جميعاً، بحكم أننا أعضاء في المجتمع الإنساني، فيذهب هابرماس إلى أن العمل ليس وحده ما يميز البشر عن الحيوانات، بل واللغة أيضاً، فالعمل يؤدي إلى ظهور المصلحة التقنية، وهي المتمثلة في السيطرة على العمليات الطبيعية واستغلالها لمصلحتنا. وتؤدي اللغة، وهي الوسيلة الأخرى التي يحوّل بواسطتها البشر بيئتهم إلى ظهور ما يدعوه هابرماس "المصلحة العملية" وهذه بدورها تؤدي إلى ظهور العلوم التأويلية. ويذهب هابرماس إلى أن المصلحة العملية

تفضـي إلى نوع ثالث من المصـلحة وهي مصـلحة الانعتاق والتحرر، وهذه الأخيرة تسـعى لتخليص التفاعل والتواصل في العناصر التي تشـوههاعن طريق إصلاحها ومصلحة الانعتاق والتحرر تؤدي إلى ظهور العلوم النقدية.